المحاضرة النصية الأولى

المجتمع المسلم.

مفهوم المجتمع المسلم :

تعريف المجتمع :

لفظ المجتمع مشتق من الجمع , و الجمع : ضم الأشياء المتفقة وضده التفريق و الافراد.

المجتمع اصطلاحاً هو : عدد كبير من الأفراد المستقرين تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها.

ويمكن تعريف المجتمع الإسلامي بأنه : خلائق مسلمون في أرضهم مستقرون , تجمعهم رابطة الإسلام , وتدار امورهم في ضوء تشريعات اسلامية وأحكام , ويرعى شؤونهم ولاة أمر منهم وحكام .

الجماعة هي : الطائفة من الناس يجمعها رابط فأكثر , كالقرابة أو الجنس , فهي بهذا المفهوم جزء مكونات المجتمع , في حين أن مفهوم الأمة أوسع وأشمل.

الأمة السلامية هي : جماعات من الناس تجمعهم عقيدة الإسلام بغض النظر عن أي اعتبار , ويشهد لهذا القران الكريم بقوله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) وقوله تعالى : (وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) سورة المؤمنين 52

إن الدول الغربية لم تستطع أن تنطوي كلها تحت أمة واحدة على الرغم من وجود روابط كثيرة بينها ، وما زلنا نسمع مصطلح الأمم الأوروبية ، ومثلها كذلك الدول الأفريقية ، فإنها على ما بينها من روابط تسمى الأمم الأفريقية ، في حين أننا لا نسمع بمصطلح الأمم الإسلامية بل هي أمة إسلامية واحدة ، على الرغم مما بين أفرادها من اختلاف في اللغة والجنس والأرض ، وهذا يعني أن الأمة الإسلامية تتكون من عدة مجتمعات لاعتبارات تفرض نفسها ، لكن التوافق بين المجتمعات الإسلامية ملحوظ بسبب اتفاقهم على مرجعية عليا واحدة ، وهي الإسلام .

أسس بناء المجتمع وعناية الإسلام بها :

الأسس العامة التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي

بعد الأساس العقدي المهيمن عليها هي :

الإنسان .

الروابط الاجتماعية.

الضبط الاجتماعي.

الأرض.

الأساس الأول : الإنسان.

عنى الإسلام بالإنسان الفرد عناية لا مثيل لها، بغية أن يهيئه ليكون الأساس الأول في بناء المجتمع ، أودع في الإنسان نزعتين متباينتين في الظاهر ، لكنهما متكاملتان وهما النزعة الفردية ، وهي التي تجعله يحب الخير لنفسه ويدفع الشر عنها ، ويحرص على تحقيق ذاته ، والنزعة الاجتماعية ، وهي التي تدفعه إلى صف الجماعة وحضن المجتمع ، لأن الله تعالى جعل بحكمته حاجة الفرد إلى الفرد ، كحاجة العضو إلى العضو في الجسد الواحد ، ويفهم هذا إذا علم أن سلوك الفرد ورغباته كالحب والوفاء والتميز والفخر، لابد لها من محيط اجتماعي تمارس فيه . يضاف إلى هذه الدوافع الفطرية ، دوافع مكتسبة تتمثل في تشريعات وتكاليف خوطب بها الفرد ، لها اتصال مباشر بالمجتمع ، سيأتي الحديث عنها.

الأساس الثاني : الروابط الاجتماعية.

فطر الإنسان على حب الانتماء إلى المجتمع ، فهو يميل بطبعه إلى بني جنسه ويكره العزلة ، وحيثما وجد تجمع إنساني برزت روابط اجتماعية وصلات تنمو وتعمل في ظل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد ، مثل القرابة والمصاهرة والصداقة والجوار .

وقد تميز المجتمع الإسلامي عن غيره في مجال الروابط الاجتماعية ، فهو وإن أقر كثيراً من الروابط ورعاها حق رعايتها ، إلاَّ أنه جعل الرابطة العظمى والعروة الوثقى هي العقيدة وما ينبثق منها من تشريعات وهدايات ،لأنها المرجعية الأولى والعليا لأبناء المجتمع الإسلامي في كل ما يصدر عنهم من سلوك وتصرفات فكان للعقيدة والحالة

هذه دور ظاهر في إيجاد روابط اجتماعية ، وفي تهذيب روابط أخرى كان قد أقرها العرف من قبل. إن الإسلام يعتمد في بناء مجتمعه على قوة الرابطة التي يضعها بين المسلمين ويجعل منهم جسماً واحداً يتجه بقوة إلى غاية واحدة ، ذلك ما يصوره قول النبي صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) متفق عليه.

الأساس الثالث : الضبط الاجتماعي.

يؤثر الأفراد بعضهم في بعض عندما يضمهم مجتمع واحد ، فينشأ عن هذا مجموعة من السلوكيات والأحاسيس والتصورات، تختلف عما يفكر فيه الفرد ويحس به أو يريده لنفسه ، وربما اتخذت الجماعات قرارات لم يردها بعض أفرادها لو خلوا بأنفسهم لاختلاف الإرادة الفردية عن الإرادة الجماعية ، وكأن هذا يعني وجود شخصية جماعية تفرض نفسها على الأفراد **يسمى علماء الاجتماع هذا الذي أشرنا إليه ، بالضبط الاجتماعي ، ويعني : ضرورة الوعي بشعور الآخرين ومراعاة حقوقهم ، وانتهاج سلوك يتأثر بهذا الوعي وهذا السلوك.**

وقد شرع الإسلام عدة أمور تحقق الضبط الاجتماعي في المجتمع المسلم ، ومنها :

1- أوجب على المسلم أن يحب إخوانه المؤمنين ، ويحب لهم من الخير ما يحب لنفسه ، وربط ذلك بالإيمان ودخول الجنة كما في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" متفق عليه ، وقوله : (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) رواه مسلم ولا شك أن المحبة في الله إذا فشت بين أفراد المجتمع ، كان لها من الآثار والثمار ما هو كفيل بتجاوز كثير من الأزمات ، ونمو التسامح في المعاملات .

2- جعل لكل مسلم حقوقا على أخيه المسلم أمره برعايتها ، وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم :" إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه" رواه مسلم.

لقد أوجدت هذه النصوص الشرعية وأمثالها، رقابة ذاتية لدى الإنسان المسلم، وحافزاً داخلياً يحمله على التفاعل الإيجابي مع أبناء مجتمعه، وتجعله يستحضر المسؤولية

المنوطة به تجاههم وتكون ثمرة هذا كله، أن تقوى أواصر المحبة والتسامح والنصح والإيثار وحسن العشرة وكف الأذى بين أفراد المجتمع ، وهو ما يسند نظم المجتمع ويبرز معالم الانضباط فيه.

3- نظم العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم ، وأوجد نظماً تخص الأسرة الصغيرة والكبيرة ، ونظم أمور المعاملات، ليقف كل فرد على ما له وما عليه ، وهذا كله يحقق ضبط الأمور في المجتمع .

4- شرع عقوبات تقوم اعوجاج بعض الأفراد، وتردهم إلى الصواب، حماية لهم من شرور أنفسهم، وصيانة لأمن المجتمع.

الأساس الرابع : الأرض.

تعد الأرض واحدة من الأسس التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي، ويتعذر إقامة مجتمع واضح المعالم ما لم يكن للمسلمين أرض تجمعهم ، وتكون الكلمة فيها لهم . وقد كانت الهجرة من أعظم أحداث التاريخ الإسلامي على الإطلاق، لأنها هيأت الأرض ووفرت المناخ المناسب لإقامة مجتمع إسلامي مستقل ومتميز، فبدأت معالم هذا المجتمع تبرز للعيان، وتتابعت التشريعات في شتى المجالات بخاصة تلك التي تنظم العلاقات والمعاملات بين أفراد المجتمع الواحد.

سمات المجتمع الإسلامي.

تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات بعدد من السمات جعلته بحق مجتمعاً فريداً لم تعرف البشرية مجتمعاً غيره جمع في ثناياه هذه السمات الحميدة ، ليكون نموذجا يرتجى، ومثالا يحتذى عند العقلاء من بني البشر .

ومن أبرز سمات المجتمع الإسلامي أنه مجتمع:

1- ملتزم بالشرع.

فليس له مرجع سوى الكتاب والسنة ، وما فيهما من أحكام شرعية تنظم تصرفات الأفراد وشؤون الأسرة وأخلاقيات المجتمع ، ويرى ذلك كله جزءاً من التزامه الديني وعبوديته لله تعالى ، فهو لا يلتفت إلى تلك الدعوات التي تصدر بين الحين والآخر باسم الحرية والتطور وحقوق الإنسان والتي تسعى إلى النيل من ثوابت المجتمع والمساس بالتزاماته تجاه مرجعيته العليا.

2- جاد .

فلا مكان فيه لصغائر الأمور وسفاسفها . ومن أبرز مظاهر جدية هذا المجتمع حرصه على العلم النافع ، والعمل الصالح . والعلم النافع هو كل علم يحقق مرضاة الله تعالى ويجلب النفع لعباده . وكل علم لا يكون وسيلة لتحقيق ذلك فهو مرفوض ، ويصنفه الإسلام على أنه علم لا ينفع ، وقد أرشدنا النبي إلى هذا الفهم حين استعاذ من هذا العلم فكان يقول : (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) رواه مسلم.

والعمل الصالح يقصد به هنا : كل عمل يؤدي إلى مرضاة الله ويجلب النفع إلى البشرية ، فهذا العمل يرحب به المجتمع الإسلامي ، ويفتح له أبوابه ، ويشجع عليه أصحابه . في الوقت نفسه يضيق المجتمع الإسلامي على الأعمال العبثية بكل أنواعها، لأنها مضيعة للوقت ، مهدرة للجهد، مشغلة عن الجد ، ولا مكان في مجتمع أنيطت به مهمة الخلافة في الأرض لمثل هذه الأعمال مهما حاول أهلها تزيينها للناس، ذلك أن المجتمع الإسلامي يقظ بكل أفراده.

3- متسامح.

والسماحة معناها: السهولة في المخالطة والمعاشرة ، ضد الغلظة والشدة . وهي صفة بارزة من صفات المجتمع الإسلامي، لأنها ظاهرة في ثنايا الإسلام كله ، فالأحكام الشرعية مبنية عليها، قال تعالى (يُرِيدُ الله بِكُمُ اليسر وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العسر) والله تعالى وصف رسوله صلى الله علية وسلم بالسماحة ويوجهه للمداومة عليها، وذلك في قوله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) .

تظهر السماحة في المجتمع الإسلامي جلية في المواطن التي يظن فيها ظهور ضدها كالانفعال والمشادة والغضب والأنانية ، وذلك في حالات : البيع والشراء والاختلاط في أماكن المنافع والاحتكاك في الطرق العامة ، فإن أبناء المجتمع الإسلامي يمتثلون قول النبي صلى الله علية و سلم : (رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى) رواه البخاري .

فالسماحة بمفهومها الواسع ، صفة مصاحبة لتصرفات أفراد المجتمع الإسلامي ، فهم بعيدون عن الانفعالات ، حذرون من المشاحنات ، معرضون عن التجاوزات ، وهذا ما تقتضيه الأخوة في الدين.

وسيرة النبي حافلة بالأحداث التي تؤكد سماحته مع كل من تعامل معهم , عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: (كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، قال أنس نظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء) متفق عليه .

4- آمن.

يتصف المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع آمن ، والأمن مطلب رئيس للمجتمعات جميعها ، بيد أن حصولها عليه ليس بالأمر اليسير ، وإن الوقائع والأحداث من حولنا لتشهد بهذا.

هناك تلازم واضح بين الأمن والإيمان ، وبين الكفر والخوف:

قال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

لما كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً مؤمناً ملتزماً ، كان بالضرورة آمناً . إن البشرية قلما شهدت مجتمعاً ساده الأمن والأمان كالمجتمع الإسلامي على مر العصور ، وحسبنا دليلاً على هذا ، تلك الأرقام والإحصاءات التي تتحدث عن أعداد مذهلة ومخيفة من جرائم القتل والسرقة والاغتصاب ، تشهدها الدول المتقدمة ، والتي تصنف على أنها دول العالم الأول .

وإليك بعض الإحصاءات الخاصة بالجهات التعليمية في **أمريكا فقط** لتكون مؤشراً وشاهداً على ما ذكرنا:

- فقد ذكرت الدراسات أن 80 % من طلاب المدارس في أمريكا يتعاطون المخدرات.

- وأنه يحدث في المدارس الأمريكية 270000 حالة عنف تصل خسارة المدارس بسببها إلى 500 مليون دولاً سنويا.

- ودلت الإحصاءات أن 50 ألف فتاة ممن هن دون سن 14 سنة في المدارس الأمريكية يحملن بطرق غير مشروعة كل عام ، وأنه يقتل في المدارس الأمريكية كل يوم طفلان بسبب أعمال العنف بين الطلاب.

لقد تحققت صفة الأمن هذه للمجتمع الإسلامي بعدة طرق:

1- الرقابة الذاتية في قلب المؤمن ، فهو يخاف الله ، فلا يحتاج إلى رقابة القانون وسلطة الدولة لكي يرتدع عن الجرائم، لأن رقابة الإيمان أقوى، والوازع الإيماني في قلب المؤمن حارس يقظ، لا يفارق العبد المؤمن ولا يتخلى عنه.

2- قيام المجتمع المسلم بدوره في رعاية أفراده وتوجيههم ، ليكونوا عناصر خير وحراس أمن في المجتمع.

3- العقوبات الشرعية ، فهي موانع لفئة من الناس عن المساس بأمن المجتمع، فبعض النفوس يغلب عليها الشر فلا يؤثر فيها وعظ ، ولا يجدي معها تهذيب ، فلابد من رادع مادي وعقاب عاجل ، كي تنزجر هذه الفئة، ويعيش المجتمع آمناً.

5- متناصح.

كما قال النبي صلى الله علية و سلم (الدين النصيحة . لله ولكتابة ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) رواه مسلم.

وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه : بايعت رسول الله على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم . متفق عليه

6- تسوده المساواة.

كما قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة).

وقال النبي صلى الله علية وسلم : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى).

7- متراحم.

كما قال تعالى : (رحماء بينهم)

وقال النبي صلى الله علية وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)

متفق عليه.

8- مطيع لأولي الأمر.

كما أمر الله بذلك فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)

وقال النبي صلى الله علية وسلم : (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقط أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني) متفق عليه.

وقال النبي صلى الله علية وسلم : (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك) رواه مسلم .

وقال أيضا : (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) متفق عليه.